سلسلة
الأشياء فى عيون الصغار

فنجان الشاى الصينى

البيت الصغير

تأليف
أحمد الشيخ

رسوم
ياسر نصر



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

يقولون إن بلاد الهند تزرع الشاى الهندى، ويقولون أنه من أجود أنواع الشاى، وأنتم تعرفون أن الشاى يحتاج إلى إناء شجاع وقادر على احتمال سخونة الشاى المغلى، ولابد أنكم تعرفون أن الإنسان يستخدم الأكواب الزجاجية المصنوعة من الكريستال فى شرب الشاى، وأنه أيضاً يستخدم الصاج المطلى أو البلاستيك أو الفخار أو أى مادة أخرى قابلة للتشكيل وقادرة على الاحتمال، وحكايتنا عن فنجان شاى صينى لا يعرف شيئاً عن بلاد الصين ومع ذلك فهو صينى، ولابد أن الكبار منكم يعرفون السبب فى ذلك،





يعرفون مثلاً أن بلاد الصين اكتشفت فى الزمن القديم صناعة الخزف الأبيض، اكتشفته واستخدمته أولاً، صحيح أن صناعة الخزف انتشرت بعد ذلك فى عشرات البلدان، وصحيح أنها تقدمت كثيراً، لكنه يبقى لأهل الصين فضل الاكتشاف، وبسبب ذلك اتفق الناس فى تلك البلدان على تسمية كل الخزف الذى يصنعونه باسم الخزف الصينى، أو الصينى، وهذا عدل نتمنى أن ينتشر ويبقى، كما نتمنى للخير أن ينتشر، ولفنجان الشاى الصينى عمراً طويلاً

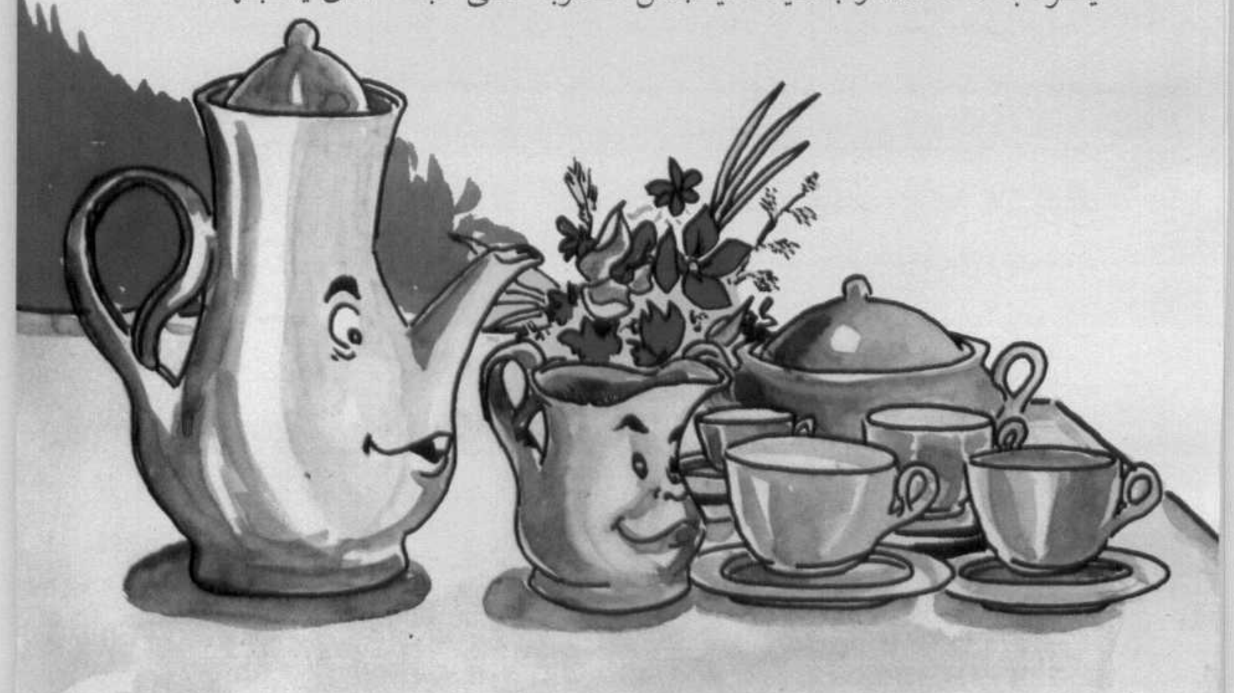


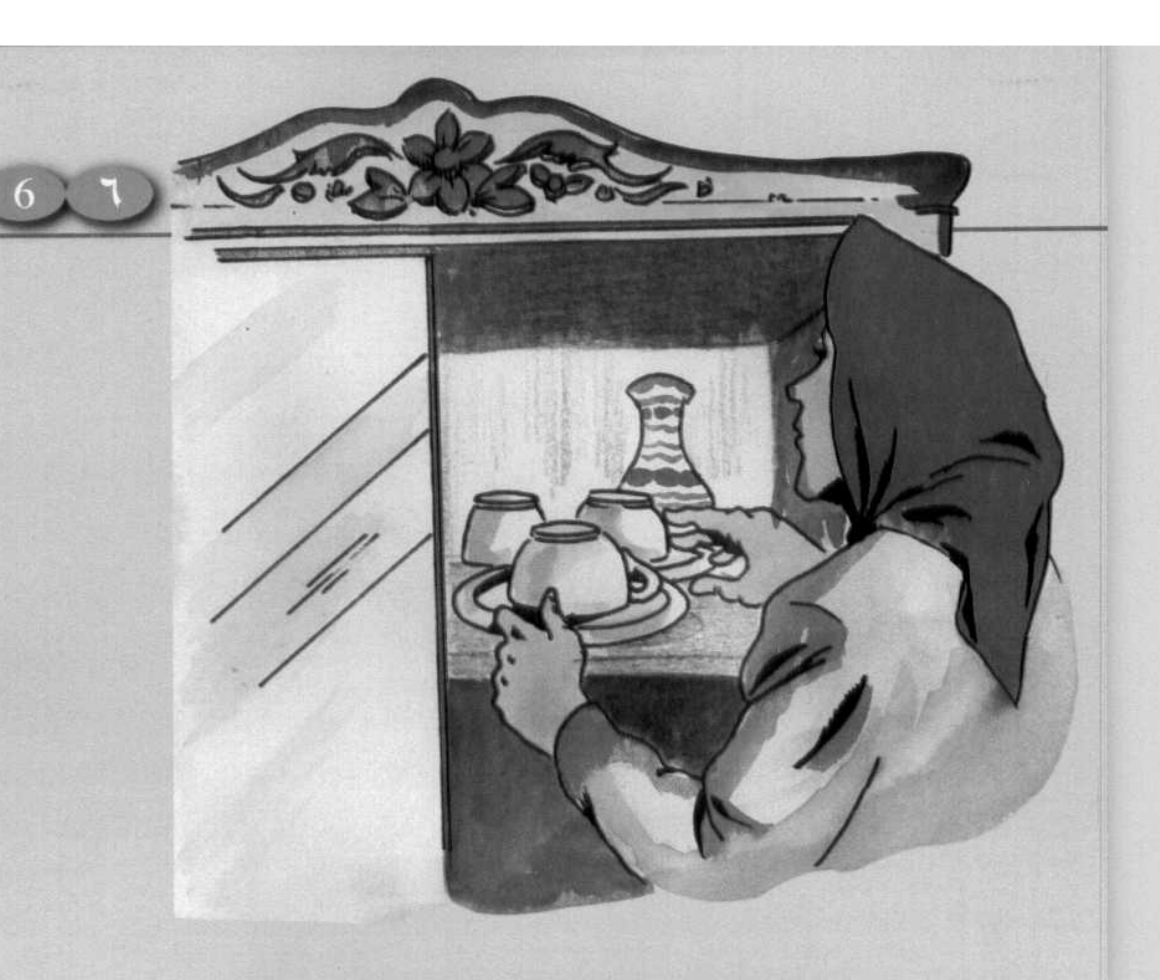
بعد ما جرى له وما كــان، فكان من الواجب أن نحكى لكم حكايته، وسوف يتذكرها كل واحد منكم كلما شــرب الشاى بالحليب فى أى فنجان له مقبض نسميه الأذن، ربما بسبب أنه يشبه الأذن البشرية.

كل الأكواب والفــناجين من كل الأنواع والأحجــام تشعر بالــدفء عندما تمتلئ بالســائل الساخن، ولم يحدث مــرة واحدة أن اعتــرضت على ذلك أو قــالت إنها شــعرت بأى نوع من الألم، بل إنــها على العكس من ذلك تمامــاً تشعر بالسعادة كلما زادت حاجة الإنسان إليــها وكثر استخدامه لها، وفناجين الصين على وجه خاص تعرف منذ زمن قديم أنها صنعت لهذا الغرض، وهى تفــعل ذلك بفرح وأدب، بل إنهــا كانت فى بعض الأحــيان تتــباهى بكــثرة خروجهــا للاستعمال ثم العودة بســلام، تقول مثلاً إنها لمست شــفاه الأطفال

وقبلتهم وساهمت فى تغذيتهم، وفنجان الشاى الذى نتحدث عنه قال كلاماً مثل هذا وأكثر، وسوف نرى.

كان مجرد فنجان شاى مصنوع من الصينى الرقيق، وكان على سطحه الخارجى رسم بارز لأمير له سيف وأميرة على صدر ثوبها وردة، كان الرسم ملوناً بألوان ثابتة لا تبهت، وكان الفنجان فى حقيقة الأمر واحداً من مجموعة من نفس الحجم والشكل وعلى السطح الخارجى لكل منها رسم بارز ملون بألوان ثابتة لأمير له سيف وأميرة على صدر ثوبها وردة، لكنه يحدث دائماً فى دنيا الفناجين كما هو حادث فى دنيا البشر، أن يتقدم إنسان أو فنجان أكثر من غيره فى الحياة وقد يكون ذلك بسبب النشاط أو الذكاء أو حسن الحظ عند الإنسان لكنه عند الفناجين يحدث دون قصد أوتدبير، هى مصادفات تجعل من نصيب الواحد منها أن يخرج أكثر ويؤدى واجبه أكثر، ثم يعود بعد غسله وتجفيفه ليجلس مقلوباً على طبقه الذى يشبهه





فى كل شىء والذى له هو الآخر رسم بارز لأمير له سيف وأميرة على صدر ثوبها وردة، وقد حدث أن تكلمت الفناجين الأخرى عن حسن حظ الفنجان الذى نتحدث عنه، ولقد كان يحق لهم ذلك فهو فى كل مرة يخرج ويشعر بالدفء بسبب الشاى المصبوب بداخله، وهو يلمس الشفاه البشرية وتلمسه وكأنها تطبع على حافته فى كل جرعة قبلة حب وإعجاب، وقد كان يتمتع أيضا بالغسيل والتجفيف وينتعش فى كل مرة، ثم يعود ويجلس، يتحدث عن السعادة التى يشعر بها أكثر من كل فناجين المجموعة، وربما لأنه من الصعب على فناجين الشاى أن تتزاحم للخروج من أماكنها، ولأن على الفنجان المؤدب أن يجلس فوق طبقه وينتظر ولأنه لم يحدث أبداً أن تزاحمت الفناجين كما يتزاحم البشر فى كل شىء، الناس يتزاحمون فى اتجاه القطارات والسيارات ويتزاحمون فى الملاعب ودور السينما، والأطفال أيضاً يفعلون

نفس الشيء وهم يخرجون من أبواب الفصول أو بوابات المدارس، وربما يرجع ذلك إلى أن الفناجين أكثر حكمة بسبب أنها مصنوعة من الخزف الصينى أو أنها تتعامل مع شاى الهند مثلاً، فالهند والصين دولتان قديمتان وتملكان الكثير من الذكاء والحكمة، لكن الحكمة والذكاء لا يكفيان لحماية فنجان صينى من الخطر، وإذا كان الإنسان النشيط الذى يعمل كثيراً يحصل على احترام الناس وتقديرهم والإنسان الكسول لا يتقدم إلى الأمام أبداً، فإن الأمر يختلف بالنسبة للفنجان، الفنجان لا يملك إرادته مثلما هو الحال عند الإنسان، وبسبب ذلك فإنه عندما يتعرض للخطر لا يكون بسبب أنه مهمل أو كسول، إن الفنجان يتعرض للخطر بفعل الإنسان نفسه بل إن الفنجان الذى نتحدث عنه، والذى على سطحه الخارجى رسم بارز لأمير يملك سيفاً، وأميرة على صدرها وردة، عندما تعرض للخطر قال نفس الشيء:





- أنا لم ارتكب أى خطأ، لقد أخطأ الضيف واهتزت يده التى كانت تمسكنى اهتزت وأسقطتنى، ولقد حاولت النجاة طبعاً، درت عدة دورات فى الفضاء مثل جندى المظلات البارع، لكنى سقطت برغم كل براعتى، سقطت وانكسرت أذنى، ولقد حمدت الله أن وصل الأمر إلى هذا الحد.. كسر الأذن أفضل من كسر الرقبة، وهى مسئولية الضيف على كل حال، بذلك تحدث الفنجان بعد أن حملوه وحملوا أذنه، نظفوه ثم وضعوه مقلوباً على طبقه الخاص، وبعد أن كان من أبناء الصف الأول وضعوه فى الصف الأخير، وهكذا الحياة، وقد كان كل ذلك بفعل الحسد كما يؤكد الفنجان،

وقد حدث فى مسكن الفناجين صياح وصراخ كثير، كان الكل يريد أن يتكلم فى نفس الوقت ولأن الأصوات فى مثل هذه الحالات صعب فهمها، ولأن النظام ضرورى فى كل شىء فقد قال كبير فناجين المسكن إنه من الضرورى أن يتحدث كل واحد عندما يحل عليه الدور.

وهناك متسع من الوقت لقول كل شىء ولكن بنظام، وسوف نسمع كل الحكايات.



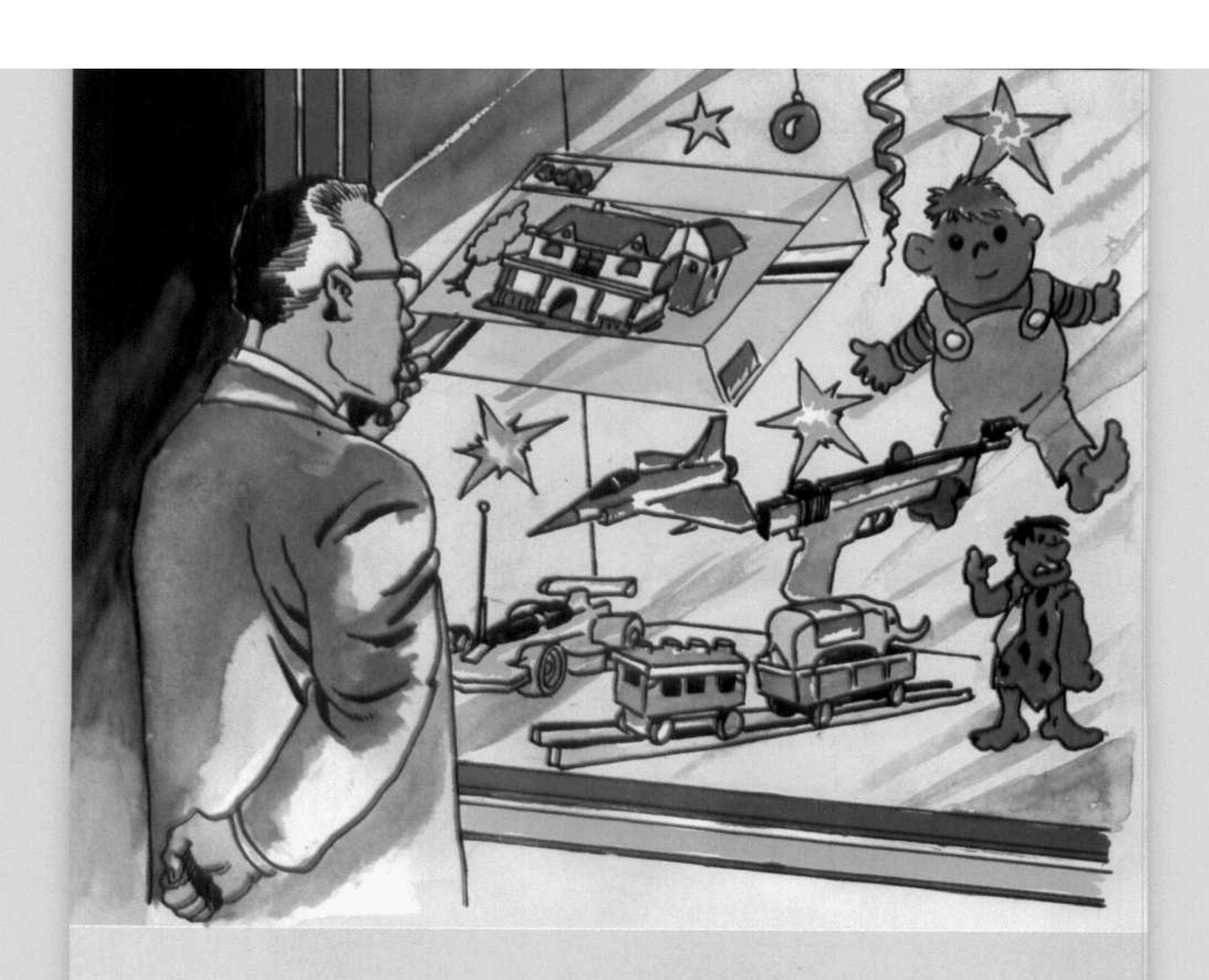


وفى تلك الليلة تحدثت الفناجين لأول مرة عن الخوف، الخوف من السقوط والكسر بفعل أخطاء البشر، والخوف شىء طبيعى فى الإنسان والفنجان على حد سواء، كل ما هنالك أن الإنسان عندما يخطئ فإنه يكون مسئولاً عن أخطائه لأن له إرادة ولأن له عقل، أما الأشياء فليست لها عقل أو إرادة، قد تكون قوية وصلبة وشجاعة لكنها فى كل الحالات ليست مسئولة عن شىء، إنها تتعرض للخطر دون مقدرة على الابتعاد عنه باختصار شديد، تتحمل الأشياء والنتائج التى تحدث لها بسبب أخطاء الإنسان، وهى فى نفس الوقت قابلة للإصلاح إذا أراد ذلك الإنسان، وهذا هو ما حدث لفنجان الشاى الصينى الذى كان يشعر بالألم، ليس فقط لأن إذنه انكسرت وإنما أيضا لأنه لم يعد صالحاً للعمل، وهو أمر سيىء ويدعو إلى الحزن طبعاً.

لكن أيام الحزن فاتت، وجـاء مساء، رجع صاحب البيت سـعيداً وطلب الفنجـان المكسور وكل الأشيـاء الأخرى من الخـزف والكريستـال المكسورة، أخرج من جيبه أنبوبة صغيرة فـيها سائل عجيب، وضع مقبض الفنجان الذى يشبه الأذن مكانـه، ووضع قطرات صغيرة مكان الكسر، ثـبت الجزء المكسور فى نفس مكانه السابق، ومن العجيب أنه التصق فى دقائق قليلة، أصبح متيناً مثلمـا كان، من يومـها وهو يخـرج ويؤدى وظيفـته، أصبح يخـرج ويمتلئ بالشاى، يقـترب من شفـاه الناس والأطفال ويتلقى قـبلاتهم ويهبـهم ما فى داخله من الشاى الدافئ الخالص أو المخلوط باللبن الحليب.



تردد الأب فى شـراء لعبـة جديدة لولده الصـغيـر، كان قـد اشتـرى له عشرات اللعب، مـسدسات وبنادق وطائرات لا تطير وسيارات صـغيرة تطلق الصفير، ويخرج من فوانيسها الضوء، ودبابات تتحرك مثل السيارات الصغيرة والقطارات بحجارة البطاريات، كـانت عند الولد الصغير مجموعـة كبيرة من كل أنواع اللعب، دمى وأفـيال وقطط وأحصنة، وكـان الولد نفسـه لا يعرف كيف يـستخـدم كل هذه اللعب، فكان الأولاد الكبـار من سكان نفس الحى يأتون ويلعبـون باللعب، يشعرون بالسـعادة لأن الأب نفسه كـان يسمح لهم بذلك، بل إنه كان يطلب من الولد الصغير السـماح لهم باللعب كما يشاءون حتى عندمـا كان الواحد منهم يعطل لعـبة من لعب الولد الصغيـر كان الأب



يحاول إصلاحها بنفسه، وكـثيراً ما كان ينجح فى ذلك، إلى درجة أنه أصبح مشـهوراً بقدرته على إصـلاح لعب طفله وأطفال الحى الكبـار، كانت هواية الرجل إذن هى إصلاح اللعب واختيارها وإهداءها لطفله والأطفال الآخرين، وكم كان الرجل يشعر بالسعادة إذا حصل على ابتسامة شكر أو عبارة امتنان.

لكنه فى هذه المرة تردد كثيـراً وهو وسط محل لعب الأطفال، أى اللعب يختار وقد بلغ الطفل من عمره خمس سنوات، وهدية عيد ميلاد طفل يجب أن تكون جـديدة وقادرة على بعث الفـرحة فى قلبـه، كان ينظر إلى البـيت

الصغير، يمسكه بين يديه ثم يعيده إلى البائع، ويعود ليمسكه ثم يعيده، ربما سأل الرجل نفسه عن سر تردده وربما تذكّر طفولته هو نفسه، كان يشاهد مثل هذا البيت الصغير مع الولد الأكبر منه الساكن فى البيت المقابل، وكان هناك رجل قاسى الملامح لا تعرف الابتسامة الطريق إلى شفتيه، كان الرجل عندما يراه واقفاً يتأمل البيت الصغير يشير إليه عدة إشارات بكلتا يديه أو يطرده بقسوة، وكان هو يبتعد فى خجل، ربما تدمع عيناه لأنه لم يمتلك بيتًا صغيراً، يمكن بناؤه بالمكعبات الملونة، كذلك كان يفكر الرجل وفى يده العلبة التى

يوجد بها البيت الصغير على شكل مكعبات يلزم تجميعها بمهارة، وربما بسبب ذلك تردد لأن الطفل سوف يفشل فى تركيب القطع فى أماكنها ليحصل على بيت صغـير كمـا هو مرسوم على غطاء العـلبة، لكنه لا يدرى كيف اشـتراه وخرج يحمله بفـرح متوجهاً إلى بيتـه ليفتح العلبة ويضع المكعبات الـصغيرة الملونة أمامـه، كان الطفل الصـغير قـد جاء وجلس قبل أن يمد أصـابعه إلى القطع الصغيرة ويحـاول أن يرصها، لكنه وجدها مهمة صعبـة فاكتفى بالنظر إلى أبيـه، ذلك الذى كان يقـوم بتركـيب القطع الصـغيـرة بدقة وحـرص،



كان يـبدو عليـه أنه انشغل تماماً باللعبـة عن كل شيء حوله، وكـان الولد الصغيـر ينظر إليه بدهشة وهو مـشغول تماماً ببناء البـيت الصغير حـتى أكمله وأصبح مثل الصورة المرسومة على غطاء العلبة.

وفى المساء وبينما كان الطفل قد نام فى نفس مكانه إلى جوار الأب، كان الأب نفسـه مازال يفك البيت الصـغير إلى مـجرد مكعبات مـلونة ثم يبنيه، ويفك أجـزاءه ثم يبنيه ويزفـر فى ارتياح، يفكـه ويبنيه وكـأنه يريد بينه وبين نفسه أن يكتشف سر البيت الصغير.

رقم الإيـداع: ٨٠٨٤ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى: I.S.B.N.
977-295-197-X